دار نشر جامعة قطر
Qatar University Press

كلية الآداب والعلوم
College of Arts and Sciences
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر

OPEN ACCESS
Submitted: 2 June 2019
Accepted: 14 May 2020

التحليل السيميائي للمقامة الحُلْوانِية لبديع الزمان الهمذاني

الحسن بواجلابن
أستاذ التعليم العالي (مؤهل) جامعة القاضي عياض، مراكش، المملكة المغربية
elh_bouijelabn@yahoo.Fr

ملخص

يستهدف هذا البحث تحليل المقامة الحُلْوانية لبديع الزمان الهمذاني تحليلًا سيميائيًّا، وذلك اعتمادًا على نظرية السيميائيات السردية: النموذج العاملي، لهذا صغتُ الإشكالية: إلى أي حد سَتُمكّنني دراسة نص سردي من تَعَرّف تمفصل النص؟ ولهذه الغاية قدمتُ نظرية السيميائيات السردية لـ«غريماس». وانصب التحليل على الشخصيات: وظائفها وخصائصها، والخطاطة السردية، والبرنامج السردي، والسردية، والعامل. وبعد التحليل، تأكّدتُ من نجاعة المنهج السيميائي، ومن اعتباره مدخلًا من أهم المداخل لتحليل السرد العربي، قديمه وحديثه.

الكلمات المفتاحية: منهج سيميائي سردي، النموذج العاملي، المقامة الحُلْوانية، السرد العربي

للاقتباس: بواجلابن، الحسن. «التحليل السيميائي للمقامة الحُلْوانِية لبديع الزمان الهمذاني»، مجلة أنساق، المجلد 3، العدد 2، 2019

https://doi.org/10.29117/Ansaq.2019.0099

© 2020، بواجلابن، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

دار نشر جامعة قطر
Qatar University Press

كلية الآداب والعلوم
College of Arts and Sciences
QATAR UNIVERSITY جامعة قطر

OPEN ACCESS
Submitted: 2 June 2019
Accepted: 14 May 2020

A Semiotic analysis of the "Elmaqama Elholwania" by Badih Zaman Elhamadani

Hassan Bouijellaben
Professor, Cadi Ayyad University, Marrakesh, Morocco
elh_bouijelabn@yahoo.Fr

Abstract

The present paper aims at analyzing "Elmaqama Elholwania," using a semiotic method, based on the theory of the narrative semiotic, actantial model. The research arguments seek to explore the extent to which the study of the narrative text will enable us to discover the text articulation. For this reason, I presented the narrative semiotics theory of 'Grimas'. The analysis focused on the functions and characteristics of the characters, their actantial narrative schema, narrative program, narrativivity and the actant. Based on the analysis, the efficiency of the semiotic model was confirmed. Accordingly, this semiotic analysis can be considered as a reliable approach to analyze the Arabic narrative, both ancient and modern.

Keywords: Narrative semiotic analysis; Actantial model; Elmaqama elholwania; Arabic narrative

للاقتباس: بواجلابن، الحسن. «التحليل السيميائي للمقامة الحُلْوانِية لبديع الزمان الهمذاني»، مجلة أنساق، المجلد 3، العدد 2، 2019

https://doi.org/10.29117/Ansaq.2019.0099

© 2020، بواجلابن، الجهة المرخص لها: دار نشر جامعة قطر. تم نشر هذه المقالة البحثية وفقًا لشروط Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International (CC BY-NC 4.0). تسمح هذه الرخصة بالاستخدام غير التجاري، وينبغي نسبة العمل إلى صاحبه، مع بيان أي تعديلات عليه. كما تتيح حرية نسخ، وتوزيع، ونقل العمل بأي شكل من الأشكال، أو بأية وسيلة، ومزجه وتحويله والبناء عليه، طالما يُنسب العمل الأصلي إلى المؤلف.

المقدمة

أتاح تطور مناهج القراءة في بداية القرن العشرين الوصول إلى منهجيتين مهمتين لتحليل نصوص الأدب هما: منهجية واردة من إرث الشكلانية الروسية[1] وأخرى وافدة من البنيوية[2] . فظهرت إنجازات الباحث الروسي «فلاديمير بروب» على الحكاية الروسية؛ إذ قدم كتابه القيّم (مورفولوجيا الحكاية) (Morphologie du Conte) الذي عدّه البنيويون في فرنسا البداية الأولى للتحليل البنيوي للحكاية. وقد تأثر به «غريماس» وجعل نظريته في السيميائيات السردية تستند إليه.

إن السيميائيات منهج للتحليل، عبارة عن لعب (Analyse Sémiotique Des Textes 7)؛ إنها لعبة تقوم بتفكيك النص. وبهذا يُجافي التحليل السيميائي أي تحليل يرتكز على التاريخ. فالتحليل السيميائي لا يأبه بتكون النص ومراحل تطوّره وجانبه الاجتماعي أو النفسي، مما يُطلق عليه في النقد الأدبي خارجية النص؛ لأن ذلك يعتبر خروجًا عن النص إلى سواه، واغتيال لإمكانية تحليل النص في ذاته. يتضح أن السيميائيات هي تَمَفْصُلُ النص لأداء معناه[3] .

ويتوجّب على النظرية السيميائية أن تقدم نفسها كنظرية في الدلالة وتستهدف بفضل، نموذج محكم البناء، توضيحَ الشروط الناجعة للإمساك بالنص؛ أي لاكتشاف شاكلة اشتغاله الداخلي[4] . ومن أهداف السيميائيات أيضًا توضيح إنتاج المعنى واستجلاء ما وراء المعنى، حين يتعلق الأمر بالبناء الدلالي.

لاُيبالي التحليل السيميائي كنظرية في الدلالة بمعنى اللفظة أو الفكرة الجوهرية أو المعنى الإجمالي؛ وإنما يتموضع وراء الكلمات لاستخلاص العلاقات التي تنتظم فيها، وفي ذلك تأسيس لنحو النص: «(Grammaire du Texte La). وسأستعين بالخطوات المنهجية لـ «الجرداس جوليان غريماس» في مجال سيميائيات السرديات، أقصد كتاب سعيد بنكراد: «السيميائيات السردية: مدخل نظري».

والخطوات المنهجية التي تقوم عليها السيميائيات السردية، هي:

النموذج العاملي، والخطاطة السردية (التحول)، والبرنامج السردي، والمسار السردي، والسردية، والمربع السيميوطيقي.

1 - الجانب النظري:

1 - 1. النموذج العاملي – من المكونات إلى العلاقات.

عمد غريماس إلى صياغة الصورة النهائية للنموذج العاملي، وجعله يتكون من مستويات الفعل الستة الآتية:

1 - أقصد مدارس موسكو، ولينين غراد، بالاتحاد السوفياتي، وحلقة براغ «Prague» بتشيكسلوفاكيا، والدراسات المنهجية على النصوص السردية التي أنجزها «إخْنْباوم»، و«بروب»، وآخرون.

2 - أشير في البداية إلى كتاب «سوسور»: (محاضرات في علم اللغة العام)، ثم جهود «بلومفيلد» اللّسانية.

3 - قال الباحث سعيد بنكراد: «يجب الحديث عن البنيات السردية باعتبارها أداة إنتاج الخطاب المتمفصل في الملفوظات»، السيميائيات السردية: مدخل نظري: 53.

4 - أي: «فهم واستيعاب ميكانيزمات اشتغال الحكاية، البنيات السردية للحكاية»، السيميائيات السردية: مدخل نظري: 72.

العامل المرسِل، والعامل المرسَل إليه، والعامل الذات الفاعلة، والعامل الموضوع، والعاملان: المساعد، والمعارض وسيرد توضيح العلاقات التي تنتظم فيها عند معالجتي المحاور.

وتعد البنيات العاملية البؤرة الأساس التي يتم من خلالها الانتقال من المستوى العميق إلى المستوى السطحي (أي من العلاقات إلى العمليات إلى الملفوظ السردي) (بنكراد 69).

ويعتبر النموذج العاملي «شكلًا يجمع داخله كل العوامل المحددة للفعل الإنساني: هدف الفعل، ما يدل على الفعل، المستفيد من الفعل، الرغبة في الفعل، المساعد على الفعل، والمعيق لهذا الفعل» (بنكراد 72).

وأوضح الباحث سعيد بنكراد هذه المكونات الستة ضمن ثلاثة محاور هي: الرغبة والإبلاغ والصراع؛ حيث قال:

«– محور الرغبة: هو المحور الذي يربط بين الذات والموضوع،

– محور الإبلاغ: وهو عنصر الربط بن المرسل والمرسل إليه،

– محور الصراع: وهو ما يجمع بين المعيق والمساعد» (بنكراد 99).

ويضعنا هذا النموذج بعلاقاته الثلاث أمام العلاقات المشكلة لأي نشاط إنساني كيفما كانت طبيعته (بنكراد 78).

و«تنحصر بساطة النموذج العاملي في تمحوره كله حول موضوع الرغبة، الذي تستهدفه الذات والذي يتموقع باعتباره موضوعا للتواصل، بين المرسل والمرسل إليه. وتتغير رغبة الذات تبعًا لنوايا العاملَيْن: المساعد والمعارض» (Greimas 180).

1 - 2. الخطاطة السردية:

«إذا كان الإمساك بالعمليات المندرجة في المستوى العميق لا يتم إلا من خلال عملية تشخيصية تتصارع داخلها كراكيز بلا وجه ولا لباس (العوامل) وفق سيناريو محدد سلفًا، فإن السير المقنن لكل حكي تصويري لا يمكن أن يتحدد إلا من خلال إدخال مقولة مركزية في السيميائيات السردية، ويتعلق الأمر بمقولة «التحولات»؛ ذلك أنه إذا كانت البرمجة تتم في مرحلة أولى في مستوى عميق؛ حيث تطرح الدلالة، كشكل منظم، بشكل سابق عن التجلي وقابلة لأن تتجسد في مواد تعبيرية متنوعة، فإنها تتم في مرحلة ثانية داخل ما أشرنا إليه سابقًا كمستوى توسطي بين المحايثة والتجلي. ومن المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية تطرح الخطاطة السردية باعتبارها عنصرًا منظمًا ومتحكمًا في التحولات. فما يبدو من خلال قراءة بسيطة لنص سردي، وكأنه تنافر وتداخل بين مجموعة من العناصر، يشكل – في مستوى آخر – بنية بالغة الانسجام والتماسك. ومن هنا فإن الخطاطة السردية تشكل نموذجًا لكل التحولات الواقعة بشكل تجريدي في مستوًى يتسم بالمفهومية» (بنكراد 87، 88).

يبدو أن الخطاطة السردية هي العنصر الذي ينظم التحولات ويتحكم فيها، وهي النموذج الذي تنتظم في حناياهُ كل التحولات. واقترح غريماس نموذجًا مقنّنًا يُتيح «تحديد عناصر الخطاطة السردية من خلال اللحظات السردية الآتية:

– التحريك.

– الأهلية.

– الإنجاز.

– الجزاء.

ولكل لحظة من هذه اللحظات موقعها الخاص داخل السير الخطي للحكاية» (بنكراد 89).

والمراحل الأربع متماسكة ومتدرجة.

1 - 3. البرنامج السردي:

«إذا كان التحريك باعتباره لحظة سردية استهلالية، لا يدرك، إلا في علاقته بالإنجاز الذي يعد خاتمة لسلسلة من التحولات الرابطة بين التحيين والتحقق، فإن التأهيل هو الآخر لا يدرك إلا في علاقته بالإنجاز الذي يعد خاتمة لسلسلة من التحولات المؤدية من التحيين إلى التحقق. (...) ولكي تشتغل هذه اللحظات في ترابط مع بعضها البعض، لا بد من وجود إطار يحدد للفعل منطقًا وغايةً. إن هذا الإطار يطلق عليه غريماس البرنامج السردي. ويعتبر «البرنامج السردي» صيغة تركيبية منظمة للفعل الإنساني بشكل صريح أو ضمني.

ويتحدد البرنامج السردي إما من خلال تعاقد بدئي يحدد نمط تداول الموضوعات داخل المساحة النصية الفاصلة بين لحظتي البدء والنهاية، وإما من خلال إرساء قواعد بنية سجالية تضع على مسرح الأحداث ذاتين تتصارعان من أجل الحصول على الموضوع نفسه» (بنكراد 108، 109).

البرنامج السردي هو «تتابع الحالات والتحولات تتابعًا يتمّ بشكل متسلسل على أساس علاقة فاعل – موضوع وتحول تلك العلاقة. يتضمن البرنامج السردي إذن، عدة تحولات تخضع للتمفصل والتراتبية» (Analyse Sémiotique Des Textes 16).

ويُتيح البرنامج السردي فهم معنى النص، وشاكلة انْبِنائه.

ونلفي برنامجًا سرديًّا مركزيًّا: (Programme Narratif Central)، وبرامج سردية معارضة له.

1 - 4. المسار السردي ونمط الوجود السيميائي:

«إن مقولة المسار السردي ساهمت إلى حد كبير في دحض إحدى الثيمات الرئيسة للنقد الكلاسيكي. ولقد كان لپروپ الفضل الكبير في شد الانتباه إلى ضرورة تحديد الشخصية من خلال موقعها من الفعل (الوظيفة)، دونما اهتمام بالجوانب المتعلقة بالتطور السيكولوجي أو الاجتماعي لهذه الشخصية. من هنا وجب التعامل مع هذه المقولة باعتبارها الأداة التي تعمل على تحديد كينونة الذوات الفاعلة داخل الحكاية من خلال المجموع التام والمتنوع للأدوار التي تلعبها داخل القصة، أي تحديد مجموعة من المراحل المسكوكة التي تبرز تطور المواقع التركيبية داخل الحركة السردية. وبناءً عليه، فإن نمط الوجود السيميائي لعامل ما، لا يمكن الإمساك به إلا من خلال مجموع الأفعال الصادرة عنه والمندرجة ضمن مسار محدد، وتبعًا لذلك جاء التمييز بين الدور العاملي والوضع العاملي للمحفل؛ ليعطي بعدًا ديناميكيًّا للنموذج العاملي، ويدع الباب مفتوحًا أمام تطويع هذا النموذج من داخله لكي يستوعب غنى وتنوع النصوص» (بنكراد 114).

المسار السردي هو «عبارة عن توالي وحدات سردية تجمع بينها علاقات مُتَراتبة. وتكون إما بسيطة أو معقدة من حيث تواترها؛ إذ تتبادل التأثير فيما بينها. تلك الوحدات السردية هي عبارة عن تعاقب جمل نحوية بسيطة. أما الفواعل في هذه الجمل، فتتمثل في اكتساب حالات، أو حصول على مواضيع، أو قيام بأفعال» (Greimas, Parcours narratif "Courtes").

– السردية:

السردية: يتأسس المعنى ضرورة على الاختلاف؛ إذ «يرتهن وجود المعنى بوجود الاختلاف. إن التحليل السيميوطيقي للنصوص، في العمق، تعرّف ووصف لما يتضمنه النص من الاختلاف» (Analyse sémiotique des textes 14). يتأسس المعنى على الاختلاف، وتتالي الحالات والتحولات الموجودة داخل الخطاب هو ما يوفر ذلك الاختلاف.

– المربع السيميوطيقي: هو»نموذج يمثل العلاقات الرئيسة التي أُسندت إليها الوحدات الدلالية» (Analyse Sémiotique Des Textes 132). يتحدد المربع السيميوطيقي بمجموعة منظمة من العلاقات الدلالية القادرة على إدراك التمفصلات الرئيسة للدلالات، فهو بنية لعب الاختلافات ومجموع العلاقات.

الـنص: المقامةُ الْحُلْوانِيةُ.

«حدّثنا عيسى بن هشام قال: لما قَفَلْتُ من الحج فيمن قَفَل. ونزلتُ حُلْوان مع من نزل. قلت لغلامي: أجد شعري طويلًا وقد اتسخ بدني قليلًا، فاختر لنا حمّامًا ندخله، وحجّامًا نستعمله. وليكن الحمّام واسع الرقعة، نظيف البقعة، طيب الهواء، معتدل الماء. وليكن الحجّام خفيف اليد، حديد الموسى، نظيف الثياب، قليل الفضول. فخرج مليًّا، وعاد بطيًّا وقال قد اخترته كما رسمت. فأخذنا إلى الحمّام السمت، وأتيناه فلم نر قوامه، لكني دخلتُهُ، ودخل على أثري رجل، وعمد إلى قطعة طين فلطّخ بها جبيني، ووضعها على رأسي، ثم خرج، ودخل آخر، فجعل يدلكني دلكًا يَكِدُّ العظام، ويغمزني غمزًا يهدّ الأوصال ويصفّر صفيرًا يرشّ البزاق، ثم عمد إلى رأسي يغسله، وإلى الماء يرسله. وما لبث أن دخل الأول فحيَّا أَخْدَعَ الثاني بأضمومة قَعْقَعَتْ أنيابه، وقال يا لكع، مالك ولهذا الرأس وهو لي؟ ثم عطف الثاني على الأول بمجموعة هتكت حِجابه، وقال: بل هذا الرأس حقي وفي ملكي وفي يدي، ثم تلاكما حتى عييا وتحاكما لما بقيا. فأتينا صاحب الحمّام فقال الأول: أنا صاحب هذا الرأس؛ لأني لطختُ جبينه ووضعتُ عليه طينه، وقال الثاني: بل أنا مالكه؛ لأني دَلَكْتُ حامله وغمزتُ مفاصله. فقال الحمّامي: ائتوني بصاحب الرأس أسأله، ألك هذا الرأس أم له؟ فأتياني وقالا: لنا عندك شهادة فَتَجَشَّمْ، فقمتُ وأتيتُ، شئتُ أم أَبَيْتُ. فقال الحمامي: يا رجل لا تقل غير الصدق، ولا تشهد بغير الحق. فقلت: يا عفاك الله هذا رأسي، قد صحبني في الطريق، وطاف معي بالبيت العتيق. وما شككتُ أنه لي فقال لي: اسكت يا فضولي، ثم مال إلى أحد الخصمين فقال: يا هذا إلى كم هذه المنافسة مع الناس، بهذا الرأس، تسلَّ عن قليلِ خطره، إلى لعنة الله وحرِّ سقره، وهب أن هذا الرأس ليس، وأنا لم نر هذا التيس.

قال عيسى بن هشام: فقمتُ من ذلك المكان خَجِلًا، ولبستُ الثياب وَجِلًا، وانسلَلْتُ من الحمام عجلًا. وسببت الغلام بالعض والمص، ودَقَقْتُهُ دقّ الجِص. وقلت لآخر: اذهب فأتني بحجام يحطّ عني هذا الثّقل، فجاءني

برجل لطيف البنية مليح الحلية في صورة الدّمية فارتحتُ إليه ودخل فقال: السلام عليك ومن أيّ بلد انت؟ فقلتُ: من قم فقال: حيّاك الله من أرض النعمة والرفاهة، وبلد السنة والجماعة، ولقد حضرتُ في شهر رمضان جامعها، وقد أُشعلتْ فيه المصابيح، وأقيمت التراويح، فما شعرنا إلا بمدّ النيل، وقد أتى على تلك القناديل، لكن صنع الله لي بخف كنت قد لبسته رطبًا، فلم يحصل طرازه على كمه. وعاد الصبي إلى أمه بعد أن صليتُ العتمة واعتدل الظل. ولكن كيف كان حجّك؟ هل قضيت مناسكه كما وجب؟ وصاحوا العجب.. العجب، فنظرتُ إلى المنارة، وما أهول الحرب على النظارة، ووجدتُ الهريسة على حالها وعلمتُ أن الأمر بقضاء من الله وقدر، وإلى متى هذا الضجر، واليوم وغد، والسبت والأحد، ولا أطيل، وما هذا القال والقيل، ولكن أحببتُ أن تعلم أن المبرد في النحو حديد الموسى، فلا تشتغل بقول العامة، فلو كانت الاستطاعة قبل الفعل لكنتُ قد حلقتُ رأسك. فهل ترى أن تبتدئ؟ قال عيسى بن هشام: فبقيتُ متحيّرًا من بيانه في هذيانه، وخشيتُ أن يطول مجلسه فقلتُ: إلى غد إن شاء الله. وسألتُ من حضر قالوا: هذا رجل من بلاد الإسكندرية لم يُوافقه هذا الماء، فغلب عليه السوداء. وهو طول النهار يَهْذي كما ترى، ووراءه فضل كثير قد سمعتُ به، وعز عليّ جنونه، وأنشأتُ أقول:

«أنا أعطـي الله عهـــدا محكمًا في النـذر عقـدا

لا حلقتُ الرأس ماعشـ تُ ولو لاقيتُ جهدا» (الهمذاني 171).

2 - التحليل:

النص قيد التحليل سرديّ، وإذا كانت السيميوطيقا هي تَفْصُلُ النص لأداء معناه؛ فَحَرِيّ بنا أن نطرح السؤال المركزي في تحليلنا هذا، وهو: كيف يتمفصل النص الحكائي «المقامة الحُلْوانِيَة» لأداء معناه؟

2 - 1. المعنى من خلال العنوان:

يعتبر العنوان إرسالية يرسلها المنتج إلى المتلقي، ويثير عنوان النص عدة أسئلة مثل:

لماذا وصف الهمذاني هذه المقامة بالحُلْوانية؟ مما لا شك فيه أن حلوان اسم مكان، فأين توجد؟ وما صلة الكاتب بها؟ ولماذا التركيز على حُلوان؟ وما العلاقة بين شقَّي العنوان: «المقامة» و«حلوان»؟ سَيْلٌ من الأسئلة، والجواب واحد هو: النص. يَستفزّ العنوان القارئ مما يثيرَ التساؤل الآتي: هل الإبداع لغز يجب اكتشافه وحلّه بطريقة أو بأخرى؟

يتركب العنوان من مركب اسمي: موصوف وصفة ويحدد الموصوف هوية النص، وبذلك كفانا مؤونة التعب؛ من أجل تأطير النص. وتدل الصفة على مكان الأحداث. فمِن الأكيد أن الحديث كله سينصب على أحداث أنجزتها القوى الفاعلة بحلوان، الشيء الذي يجعل العنوان بحق بَوّابَةَ النص.

واقتناعًا مني بأن معرفة النص تتمّ بواسطة معالجة آلياته؛ أي تفتيت النص لإدراك إوالية اشتغاله الداخلي سأحدّد شخصيات النص، ثم أرصد وظائفها وخصائصها، والوظيفة «هي فعل تقوم به شخصية ما من زاوية دلالته داخل البناء العام للحكاية» (بنكراد 19).

2 - 2. شخصيات المقامة:

نُلفي عيسى بن هشام، والغلام الأول، والرجل الأول، والرجل الثاني، والحمّامي، والغلام الثاني، والحجام، ومجموعة من زبنائه.

2 - 2 - 1. جدول وظائف الشخصيات:

عيسى بن هشام	الغلام الأول	الرجل الأول	الرجل الثاني	الحمامي	الغلام الثاني	الحجام	مجموعة زبناء
عاد من الحج ونزل بحلوان							
عرض حاله: ← الاتساخ وطول الشعر							
أمر بالبحث عن ← الحمام والحلاق المناسبين	اختار الحمام كما رسم عيسى						
دخل الحمام رفقة غلامه، ولم يرقه منذ البداية							
	→	لطخ جبين عيسى بقطعة طين					
		→	دلك جسد عيسى وأرسل عليه الماء				
		ضرب الرجل الثاني →					

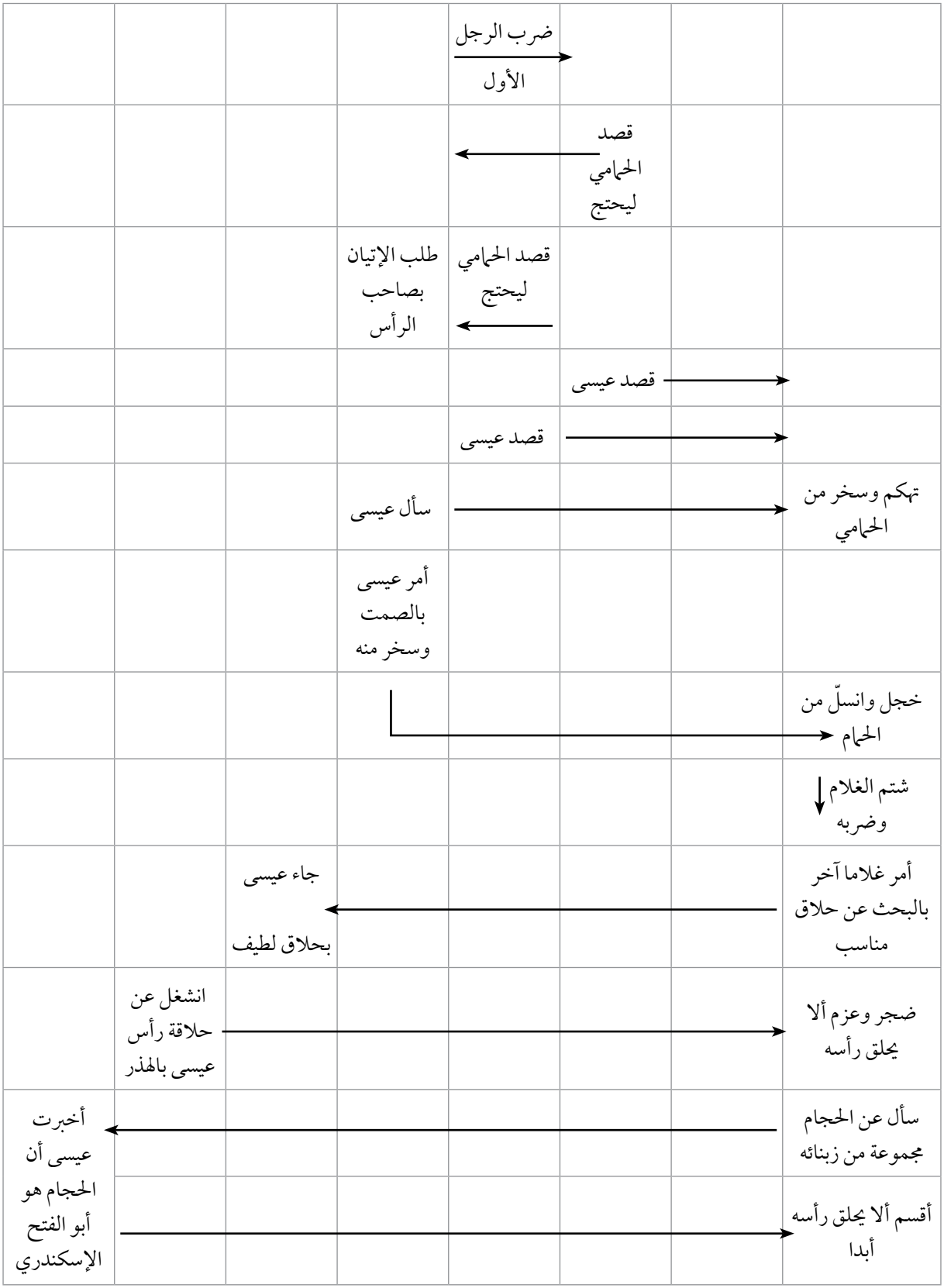
ضرب الرجل الأول
قصد الحمامي ليحتج
قصد الحمامي ليحتج
طلب الإتيان بصاحب الرأس
قصد عيسى
قصد عيسى
تهكم وسخر من الحمامي
سأل عيسى
أمر عيسى بالصمت وسخر منه
خجل وانسلّ من الحمام
شتم الغلام وضربه
أمر غلاما آخر بالبحث عن حلاق مناسب
جاء عيسى بحلاق لطيف
ضجر وعزم ألا يحلق رأسه
انشغل عن حلاقة رأس عيسى بالهذر
سأل عن الحجام مجموعة من زبنائه
أخبرت عيسى أن الحجام هو أبو الفتح الإسكندري
أقسم ألا يحلق رأسه أبدا

ويمكن أن نستخلص من جدول وظائف الشخصيات المواصفات الآتية:

2 - 2 - 2. جدول مواصفات الشخصيات:

عيسى بن هشام	الغلام الأول	الرجل الأول	الرجل الثاني	الحمامي	الغلام الثاني	الحجام	مجموعة زبناء
حالم ومثالي طموح آمر شقي مغلوب على أمره مهزوم وفاشل قلق وغاضب منفعل قاسي عنيف أديب سارد	مأمور منفذ فاشل قليل الدراية بالحياة	محتقر جشع عنيف	فظ الطبع قاسي جشع عنيف	صارم ممثل السلطة بؤرة الشكايات قاسي عنيف محتقر ظالم	مأمور منفذ فاشل قليل الدراية بالحياة	لطيف مليح ثرثار فضولي ضجر أديب فصيح بليغ مغلوب على أمره أبو الفتح الإسكندري	عارفون لهوية الحجام

يمكن أن نستنتج تصنيفًا للشخصيات عبر محاور محددة.

2 - 2 - 3. تصنيف الشخصيات:

أ- محور التطابق:

الرجل الأول = الرجل الثاني = الحمّامي

(مع اعتبار دلالة علامة = هي يطابق)

الغلام الأول = الغلام الثاني

ب- محور التناقض:

المقصود بالتناقض أننا «نحن أمام ذاتين ذ 1 وذ 2، تتصارعان من أجل الحصول على موضوع ما» (بنكراد 14).

تصور عيسى وتخطيطه للحمام ≠ إنجاز الغلام الأول لذلك.

تصور عيسى للحجام المناسب ≠تحقيق الغلام الثاني لذلك.

ارتياح عيسى للحجام في البداية ≠استياء عيسى من الحجام في النهاية.

ج- محور الازدواجية:

الحجام هو أبو الفتح الإسكندري الأديب، يجمع بين لطف البنية، وملاحة الحلية، وكثرة الهذر، وشدة الفضول، وامتلاك البيان.

يتضح من كل ما تقدم أن عيسى بن هشام حالم ومثالي، ولازمته خيبة الأمل وسوء الحال. تتحكم في حياته إوالية ثلاثية الحركات هي: الطلب، والتنفيذ، ورد الفعل، بحيث نجد في البداية تصور البطل عيسى بن هشام، وتخطيطه للفعل (حمّام واسع الرقعة نظيف البقعة.. والحجام خفيف اليد..)، ثم يتم الإنجاز، ويأتي دوما على عكس ما خطط له البطل: (تعسّفات رجال الحمّام، وسوء الاغتسال، وفضول الحلاق)، فيصادف نفيًا لتصوّره للفعل المرجوّ، مما يؤدّي به إلى القيام بردّ الفعل (سخريته من الحمامي، وانْسِلاله من الحمام، وشتمه الغلام الأول وضربه إياه، وقسمه ألا يحلق رأسه أبدًا).

نستنتج مما سبق أيضًا أن الخدمات التي تقدّمها حلوان لزوارها سيئة جدًّا، لذا حرصت المقامة على إدانة المشتغلين بها سواء من المكلَّفين بالتسيير (الحمّامي كممثل للسلطة داخل الحمّام، وبؤرة الشكايات)، أم من بسطائها (رَجلا الحمام والغلامان)، أم من أدبائها المقهورين والمتستّرين (أبو الفتح الإسكندري الأديب وهو الحجام). ولْنلاحظْ تنقُّل البطل عيسى بن هشام من وضعية إلى أخرى بسرعة، وهو ما سأبيّنه في أوانه.

2 - 3. الخطاطة السردية:

يمثل جدول وظائف الشخوص خطاطة مهمة جدًّا في تحليلنا، ونحن مُلزمون في أثناء الخطوات المنهجية كلها بالنظر في معطيات هذا الجدول لاستخلاص التحول والبرنامج السردي، وغير ذلك.

فيما يتعلّق بالتحول، نلاحظ أن عيسى بن هشام قد خضع لعدة حالات ضمن عدة وضعيات، الشيء الذي يشكل مقاطع النص. ونميز الحالات الآتية:

الأولى: وضعية عيسى بن هشام بعد عودته من الحج

- رجوعه من الحج.
- وضعية الاتِّساخ.

الثانية: الرغبة في الاغتسال والحلاقة

-الأمر بالبحث عن حمّام وحلاق راقِيَيْنِ.

الثالثة: ولوج عيسى بن هشام الحمّام

- تصارع الرجلين بشأن رأس عيسى بن هشام.
- خيبة الاغتسال، ومغادرته الحمام.
- معاقبته الغلام.

الرابعة: طلب حلاق مناسب

- استحسانه الحلاق.

- ثرثرة الحلاق تحول دون حلق عيسى رأسه.

- قسم عيسى ألا يحلق رأسه أبدًا.

بدأت حركات المتن السردي وحالاته تتضح:

- حركات النص:

تحكم النص أربع حركات، هي:

أ - الوضعية الأصلية: أي البداية وتتمثل في اتساخ البطل ورغبته في الاغتسال والحلاقة. مما يجعل الحركة الأولى فسحة أمل.

ب - مسار التحسن: ويتجلّى في تقديم البطل مواصفات الحمّام والحجام، ثم استحسانه الحلاق.

ج - مسار الانحطاط: وينحصر في تعسّفات رجال الحمّام، ثم هذر الحجام وفضوله.

د - النهاية: شقاء وفشل ملازمين للبطل. وعبّرنا عن هذه النهاية بالحلقة المفرغة، التي كان عيسى بن هشام يدور داخلها.

ولكي تتضح الدائرة المفرغة أكثر، ننتقل إلى حالات النص.

- حالات النص:

نجد في المقامة الحلوانية الحالات التالية:

← الفعل البراغماتي	← وجود أزمة	← التفكير في الحلّ	← الفعل البراغماتي	عودة إلى الأزمة
(يتمثل في رغبة البطل في الاغتسال والحلاقة)	(خيبة الأمل أثناء الاغتسال)	(البحث عن غلام حاذق)	(جئني بحجام يحط عني هذا الثقل)	(هذر الحجام حال بين البطل وحلاقته)

2 - 4. البرنامج السردي:

كيف يبدو عيسى بن هشام في أتون هذه الحالات؟ نلاحظ من خلال هذه الحالات تحول عيسى بن هشام من وضعية الإحساس بالتضايق نظرًا لاتساخ البدن إلى وضعية الرغبة في التخلص من ذلك إلى خيبة الاغتسال، ثم وضعية التضجر وعقاب الغلام، بعد ذلك حلَّت في نفسه حالة الارتياح لاستحسانه الحلاق، لكن سرعان ما عاد إلى ضجره وغضبه بدرجة أقسى من المرات السابقة. إنها وضعية اليأس؛ حيث أقلقه الحجام الذي منعه هذره وفضوله من حلق رأس عيسى بن هشام فعقد العزم على الامتناع مطلقًا عن حلق رأسه.

فرغبة عيسى بن هشام في الاغتسال والحلاقة برنامج سردي مركزي: (programme narratif central)،

وخيبة الاغتسال برنامج سردي معارض لهذا البرنامج السردي المركزي؛ لأنه عارض رغبة عيسى بن هشام في التنظف، وثرثرة الحلاق التي حالت دون حلق عيسى رأسه برنامج سردي معارض ثانٍ عارض رغبة عيسى بن هشام في حلق رأسه. وهو ما يُتيح لنا القول إن عيسى بن هشام هو الفاعل الإجرائي الذي يحول البرنامج السردي. ويشكل مجموعُ الحالات والتحولات البرنامجَ السردي.

2 - 5. المسار السردي:

توالت وحدات سردية اكتسب خلالها عيسى بن هشام عدة حالات، وقام أثناءها بعدة أفعال. تتمثل الحالات في ضجر عيسى بن هشام، وخيبة الأمل كل مرة. وهو ما دفعه إلى عقاب الغلام، وأقسم ألا يحلق رأسه أبدًا. وبالنظر في جدول وظائف الشخصيات يتضح عبور البطل من الأمل إلى سوء الحظ وخيبة الأمل، ويتلو هذا العبورَ عبورُهُ من سوء الحال إلى الأمل؛ إذ سرعان ما يَعِنُّ له بصيص من الأمل فينتقل البطل إلى سوء الحال وخيبة الانتظار من جديد. وتنمو لديه وتيرة الضجر، فَيَنْدَحِرُ شيئًا فشيئًا نحو هاوية اليأس، فنحن بصدد عبورين:

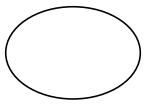

الأمــل ← سوء الحظ = حلقة مفرغة، وبداخلها نجد عيسى بن هشام.

كانطلاقة كوصول

لقد تكرر هذان العبوران، وهو ما يجعل المسار السردي دائريًّا وليس خطّيًّا كما قد يتبادر إلى الذهن.

ويدور عيسى بن هشام في حلقة مفرغة؛ حيث يصير الوصول انطلاقة، وهذا الدوران الفارغ جانب من جوانب فكاهة نص المقامة.

2 - 6. السردية:

اتضح من المسار السردي أن شخصية عيسى بن هشام تسعى كل مرة نحو السعادة، فتجلب لنفسها الشقاء بسعيها ذلك. وفي هذا اختلاف عبّرنا عنه باتجاه عيسى من الانطلاقة إلى الوصول، ثم اتجاهه من الوصول إلى حيث الانطلاقة. وعيسى بن هشام في أثناء العبور الأول ليس هو عيسى بن هشام في خلال العبور الثاني.

أ. العبور الأول في اعتقاد عيسى هو عبور نحو السعادة.

ب. العبور الثاني هو فعلًا عبور نحو الشقاء.

فأثبت العبور الثاني أن العبور الأول هو عبور نحو الشقاء أيضًا، وهذا جانب من فكاهة النص؛ حيث يجد عيسى نفسه في كل مرة أمام عبورين شقيّين.

وفي مستوى السردية، يكشف التحليل السيميائي عن الاختلاف. وهذا التباين:

(العبور الأول يناقض العبور الثاني) هو الذي يؤسس النص سرديًّا.

إن عيسى بن هشام شخصية شقية، فعلى الرغم من سعيها الدّؤوب نحو السعادة فقد لازمها سوء الحظ. فكلما

قدّم تصوره المثالي لشيء معين دارت الأمور دورة عكس ونحس. وما كان البطل ليبخل بردّ الفعل كل مرة. وببلوغنا مستوى السردية في التحليل السيميائي، تتضح جوانب فكاهة نص المقامة بجلاء؛ فتجليات أسلوب السخرية عديدة: مثل دَلْكِ أحد الرجلين عيسى بن هشام دلكًا يكد العظام، متسلِّيًا بالصفير، وما يزيد هذه المفارقة فكاهة، أن لرجل الحمّام فُرجا بين أسنانه، مما يجعل البزاق متطايرًا، علاوة على منازعة الرجلين رأس عيسى بن هشام، وهذه مفارقة ثانية؛ إذ تحوّل البطل من طالب لأحد الرجلين إلى مطلوب بينهما، وسخرية الحمّامي من عيسى، حيث نعته بالتّيس، كردّ فعل ضد البطل؛ لأنه سخر من الحمّامي لتفاهة طلبه. ومن تجليات السخرية أيضًا طريقة ضرب عيسى الغلام؛ حيث دقّه دقّ الجص، وتشبيهه الحجام بالدمية مما يثير الضحك. فكل ذلك يجعل نص المقامة الحُلوانية نصًّا فكاهيًّا، ويُخول لنا إدراجه في أدب الفكاهة.

وتجدر الإشارة بأن عيسى هو من يتحكّم في البرنامج السردي، وهو الذي يحوِّله؛ الشيء الذي يجعله مالكًا لسلطة السرد، وهذا جانب من جوانب بطولة عيسى بن هشام.

2 - 7. البنية الدالة للمتن الحكائي:

قلت في مستوى السردية: أثبت العبور الثاني أن العبور الأول هو عبور نحو الشقاء أيضًا.

فما كان يعتبره عيسى كل مرة سعادة، هو لا سعادة. من هنا يتضح أن عيسى يعبر من الشقاء نحو اللا سعادة ليعود من اللا سعادة نحو الشقاء وهذا العبور موضوعاتيّ:(Thématique)؛ أي: إليه يَنْشَدُّ النص بقوة، وبهذا تكون البنية الدالة لحكاية المقامة الحُلوانية هي الشقاء واللا سعادة.

2 - 8. النموذج العاملي:

نميز في حكاية المقامة بين عدة عوامل، فيظهر في البداية العامل الفاعل عيسى بن هشام، وهو أيضًا العامل الآمر. دون أن ننسى أنه العامل البطل كذلك؛ لأنه احتل موقعًا متميزًا في المسار السردي، وعامل موضوع؛ لأنه يحمل قيمة راهن عليها السرد، وهي توخي عيسى بن هشام الارتياح الذي سرعان ما ينقلب إلى خيبة الأمل وسوء الحال، وهي القيمة التي نهض عليها الصراع ضمن البرنامج السردي.

ونلفي كذلك الفاعل المتلقي للأوامر؛ أي المرسل إليه، ويمثله الغلامان ورجلا الحمّام.

وبتأمل جدول وظائف الشخصيات، نلاحظ وجود عاملين متناقضين من حيث علاقة كل واحد منهما بالسرد:

– العامل المساعد: وسُمي كذلك لأنه يساعد العامل – الفاعل على إنجاز البرنامج السردي. وتمثل العامل المساعد الشخصيات الآتية: الغلامان، ورجلا الحمّام، والحجّام.

–العامل المعارض: وسُمي كذلك؛ لأنه يمنع من تحقيق البرنامج السردي. ويمثل هذا العامل المعارض: الحمّامي؛ نظرًا لِكَبْحِهِ جِماح السرد، حيث تتوقف عملية السرد بمجرد إصداره حكمه في رأس عيسى بن هشام.

ولْنلاحظ انتهاء السرد في النص على يد العامل الفاعل عيسى، حيث إن هذيان الحلاق وكشف حقيقته إيذان

بتوتّر البطل من جهة، وإرهاص بتخلّيه عن عملية السرد من جهة ثانية، وإلا لَمَا لجأ إلى إنشاد البيتين الشعريين كتعبير عن التوتر النفسي الذي يُوازيه انتقاله من بنية السرد إلى بنية الشعر.

ولمزيد من توضيح النموذج العاملي وشاكلة إسهام مختلف العوامل في حركية نص المقامة الحُلْوانية، أقدم الخطاطة الآتية:

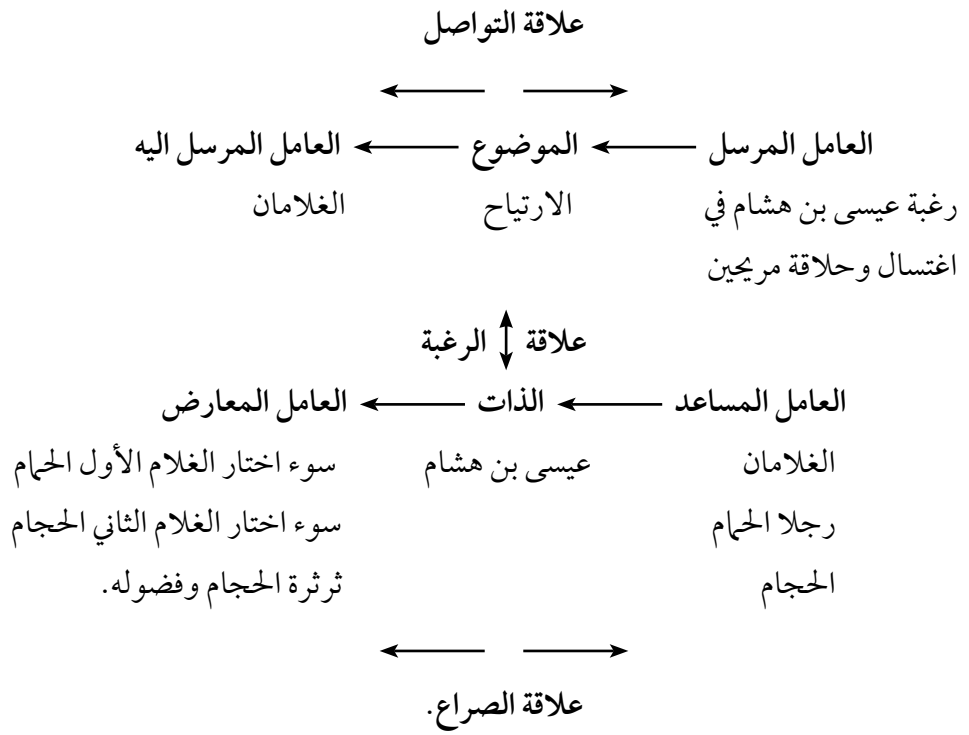

2 - 9. البناء الدلالي:

بوصول التحليل السيميوطيقي إلى مرحلة البناء الدلالي، نقترب أكثر من تقديم جواب أنجع وأنفع للسؤال المركزي الذي طرحناه في البداية، وهو: كيف يتمفصل نص المقامة الحلوانية لأداء معناه؟

نبدأ اقترابنا من الجواب بخطوة إبراز التشاكل المختفي بين تضاعيف النص. وهذه مرحلة هامة في عملية تفتيت النص؛ لاكتشاف ثنائياته التي تشكل نظامًا يُعين على فهم معاني النص. فنميز في البداية تشاكلًا على مستوى شخصية عيسى بن هشام، باعتباره يمثّل تصميمًا اندلاليًّا (Significatif) فيتفرّد بالهزيمة، والمثالية، وخيبة الأمل. ونميز أيضًا تشاكلًا بين الشخصيات التي أدّت دورًا في مساعدة العامل الفاعل على إنجاز البرنامج السردي، وهي: الغلامان، ورجلا الحمّام، والحجام. ونجد تشاكلًا كذلك بين عيسى بن هشام والحمّامي، فكلاهما سخر من الآخر، وكلاهما يُصدر أوامره لمأجوريه. ونصادف التشاكل أيضًا بين عيسى والحجام، فكلاهما غريب عن حُلوان، وكلاهما أديب مغلوب على أمره.

بعد إبراز التشاكل المختفي في تضاعيف النص كخطوة مهمة في عملية تفتيت النص، ننتقل إلى خطوة أخرى تتجلّى في المربع السيميوطيقي.

2 - 10. المربع السيميوطيقي:

انتابت حياة عيسى بن هشام، على إثر عودته من الحج، مفارقات وصراعات بين الشقاء والسعادة. ونسعى إلى إعادة ترتيب تلك المفارقات والصراعات في إطار تنظيم دلالي، أطلق عليه «غريماس»: المربع السيميوطيقي. حتى نكشف عن إوالية اشتغال النص الداخلي، ونصل بمعرفتنا كيفية تمفصل النص لأداء معناه إلى أقصى درجاتها.

الـسـعادة الرغبة في الاغتسال والحلاقة. واسع الرقعة، نظيف البقعة. مواصفات الحجام: خفيف اليد، حديد الموسى.. قول الغلام: "قد اخترته كما رسمت" قول عيسى: "الحجام رجل لطيف البنية، مليح الحلية فارتحت إليه".	**الشـقاء** خيبة الاغتسال: مواصفات الحمام: تنازُع الرجلين رأس عيسى. إساءتهما الأدب معه. احتقار الحمامي عيسى والسخرية منه. اتهامه إياه بالفضول. خجل عيسى وانسلاله عَجِلًا من الحمام. ضرب عيسى الغلام. هذيان الحجام وفضوله، عقد البطل العزم على ألا يحلق رأسه أبدًا.
لا شـــقاء قول عيسى لغلام آخر: "ائتني بحجام يحط عني هذا الثقل".	**لا ســـعادة** أجد شَعري طويلا، واتّسخ بدني قليلا وأتيناه فلم نر قوامه.

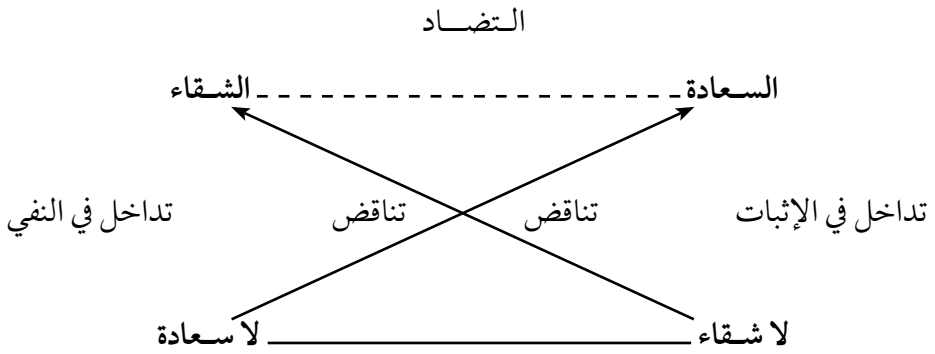

ما تحت التضـاد

محور التناقض، يتمثل في: لا شـقاء ←——— الشـقاء
ويتجلى أيضا في: لا سعادة ←——— السعادة
محور التداخل في الإثبات: لا شـقاء ←——— السعادة
محور التداخل في الـنفي: لا سعادة ←——— الشـقاء

ويمثل التضاد المستوى السطحي للشقاء، في حين يمثل ما تحت التضاد مستواه العميق.

خاتمة:

لقد حقق التحليل السيميائي الذي جاء به غريماس النتائج المرجوة منه منهجيًّا، فاتضحت شاكلة تمفصل نص المقامة الحلوانية ليؤدي معناه، وبناءه الدلالي، كما انكشفت أعماق النص؛ حيث اتضحت بداية السخرية وامتداداتها في حناياه وظهرت مظاهر الدعابة والظرف. وما يهم هو خدمة المنهج النص الأدبي؛ إذ تبينت كفاءته المنهجية.

واهتممتُ بالجانب التطبيقي؛ إذ قبل إنجاز التحليل السيميائي للمقامة الحلوانية قدمتُ دراستين سيميائيتين هما:

– مقاربة دلائلية للنص الحكائي «مداس الطنبوري» نشرته مشكورة مجلة فضاءات مستقبلية في العدد 2، السنة الأولى، مارس 1996.

– مقاربة سيميائية ل «بابا نويل المغربي» نشرته مشكورة مجلة علامات في العدد 32، 2009.

وبفضل هذه الأجرأة وضعتُ المنهج السيميائي لدى غريماس على المحك، فاتضح تماسكه وإحكام بنائه النظري وأهمية الأسس النظرية التي يستند إليها وفعاليته في تحليل مختلف النصوص السردية، وأثبت هذا المنهج نجاعته في الكشف عن المعاني المضمرة والبناء الدلالي، وكلما تقدمتُ في التحليل بالمرور من خطوة إلى أخرى لاحقة تكشفت دلالات جديدة.

يمكن إذن تطبيق المنهج السيميائي على نصوص سردية تراثية وحديثة لتعرّف شاكلة النظام السردي لنصوص: السيرة الذاتية والرحلة وأدب الأمثال وحكايات ألف ليلة وليلة ... والقصة والرواية... وتعرّف كيفية اشتغال بنية السرد في ثناياها ومن المسؤول عن إنتاج السرد وتوقّفه وغير ذلك.

لا يتأهب الأدب لخدمة النظرية وإنما العكس؛ فالنظرية السيميائية هي التي تخدم الأدب السردي حيث يفكك منهجها الخطابات السردية، ويكشف مختلف بنياتها، ويبين إوالية اشتغال أشكال الخطاب السردي وإنتاج المعنى وما يختفي في شقوق النص من معان.

واقتناعًا مني بأهمية الفكرة المنهجية التي مفادها أن طبيعة النص الأدبي هي التي تحدد المنهج، فإن أنسب منهج لتحليل الخطابات السردية هو المنهج السيميائي.

المراجع

أولًا: المراجع العربية

- الهمذاني، بديع الزمان، **المقامات**. تقديم وشرح الإمام محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 2005.
- بنكراد، سعيد. **السيميائيات السردية: مدخل نظري**، منشورات الزمن، الرباط، 2001.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

- Greimas, A. j. *La Sémantique structurale*, larousse, Paris, 1966.
- Greimas, A. Jj.et courtès. J. "Sémiotique" *dictionnaire raisonné de la théorie du langage*, hachette, Paris, 1980.
- Groupe D'entrevernes, *Analyse sémiotique des textes.*, 1ere édition marocaine, les éditions Toubkal, 1987.